Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ - ٢ فاذا ما انقضى ربع قرن آخر على هذه الصحبة الأولى ، عاد طه حسين إلى صحبة المعرى يحاوره ويتحدث معه ، بحب وإعجاب يشوبهما شيء من الإشفاق ، فقد تحرك قليلاً على سلم التماهى ، واتسع نطاق تجربته الحيوية والفنية ، وأصبح عالمه أكثر خصوبة وثراء مما أتيح لرهين المحبسين ، فقد نضجت خبراته الجمالية بفنون القول ، وعشق المسرح والتمثيل إلى جانب حبه الأول فى الشعر ، ومارس القص وتخليق الشخصيات والمواقف واصطناع الحوار بينها ، مما يجعل لحديثه عن المعرى مذاقاً خاصاً ونكهة مميزة . ولنقتطع نموذجا لحوارياته العلائية لندرك هذا التطور الخطير فى عالمه : -

« كنت أحدث أبا العلاء بأن تشاؤمه لا مصدر له فى حقيقة الأمر إلا العجز عن ذوق الحياة ، والقصور عن الشعور بما يمكن أن يكون فيها من جمال وبهجة ، ومن نعيم ولذة . وكان أبو العلاء يقول لى : فانك ترضى عما لا تعرف ، وتعجب بما لا ترى . وكنت أقول له : إن لم أعرف كل شيء فقد عرفت بعض الأشياء ، وإن لم أر الطبيعة فقد أحسستها . وكان أبو العلاء يقول لى : تبين إن استطعت حقيقة ما تعرف ، فسترى معرفتك مشوهة . ولائم ما استطعت بين ما تحس من الطبيعة وما يرى الناس منها فلن تجد إلى هذه الملاءمة سبيلاً .. وكنت أسأل أبا العلاء : أيهما خير : أن تلم بنا أسباب النعمة قوية أو ضعيفة ، صحيحة أو كاذبة ، نتشبث لها ونشد بها أيدينا وأنفسنا ، ونأخذ ما تحمل إلينا من ألوان الراحة وضروب الأنس أم تعرض لنا فنُعرض عنها ، وتقبل علينا فنمتنع عليها ، ولا نحصل من الحياة إلا ما حصلت من خيبة الأمل وكذب الرجاء ، وظلمة اليأس وحرقة القنوط ؟ وكان أبو العلاء يجيبنى ببيته المشهور :

ولم أعرض عن اللذات إلا ... لأن خيارها عنى خنسنه (٢٠)

وهو هنا يتواصل روحيا وفنيا مع أبى العلاء المفكر الفيلسوف أكثر مما يتواصل مع كتابته ، فيصبح الشعر وثيقة للحياة ومادة للتأمل وأداة للحديث ، ويصبح البطل هو المؤلف ، ويتحول النص إلى موضوع ثانوى ضعيف الأهمية ، لكن طه حسين يتخذ من هذا النهج التأويلى ذريعة لبلورة بعض الخواطر الجمالية ذات القيمة النقدية الرفيعة ، فهو يدرك أنه يرتكز على مبدأ التواصل مع المتلقى كمنطلق للفاعلية الجمالية ، ويستثمر هذا المبدأ إلى منتهاه ، ويستخلص منه بعض اللفتات الماهرة العميقة .